منهج التفسير بالرأي

الرأي :مصدر رأى رأياً ويُجمع على آراء ،وهو التفكر في مبادئ الأمور، ونظر عواقبها، وعلم ما تؤول إليه من الخطأ والصواب.

والتفسير بالرأي: أن يعمل المفسر عقله في فهم القرآن والاستنباط منه ،مستخدماً العقل والاجتهاد، لذا يُطلق على هذا النوع من التفسير (التفسير العقلي) و(التفسير الاجتهادي).

وهذا النوع من التفسير من القضايا ذات البعد التاريخي ،التي ترجع الى عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)،فقد وردت عنه الكثير من الأحاديث المتواترة التي تمنع التفسير بالرأي وتنهى عنه، فقد جاء في الحديث:" من فسَر القرآن برأيه فقد أفترى على الله الكذب" وأنه قال:" من فسَر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار".

ومعنى التفسير بالرأي يمكن أن نحدده بالاحتمالات الثلاثة التالية:

١- إن المراد منه هو أن يفسر الأنسان النص القرآني اعتماداً على رأيه وذوقه الشخصي ، مثل تفسير المتصوفة والأشاعرة ، وهذا النحو من التفسير يعتمد على رأي الشخص المفسر وظروفه ، فهو يفسر الآيات على وفق الاتجاه العقائدي الذي ينتسب إليه ، مع أنَ ذلك قد يُخالف القرآن نفسه ويُخالف ما ثبت من التفسير المأثور، فالمفسر يُخضع القرآن لعقيدته ، ليدعم رأيه ويؤكد حجته بالقرآن فيؤول القرآن على وفق رأيه ، فهو يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً ، وهذا يؤدي إلى ظهور التنافي بين الآيات القرآنية من حيث إبطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها ، فيؤدي بالنتيجة إلى وقوع الآية في غير موقعها ، ويلزم ذلك تأويل بعض القرآن أو أكثر آياته بصرفها عن ظاهرها ، كما يؤول المجبرة آيات الاختيار ، والمفوضة آيات القدر ، وغالب المذاهب الإسلامية تؤول الآيات التي لا يوافق ظاهرها مذهبهم.

٢- أن يكون النهي الوارد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن التفسير بالرأي هو معالجة لظاهرة برزت في زمنه في تفسير القرآن وشكل محدد ، ثم تطورت وبشكل واسع حتى تكونت على أساسها مدارس في المجتمع الإسلامي ،إذ ورد النهي آنذاك عن البحث في تفسير الآيات العقائدية أو التاريخية تأثراً بالديانات السابقة ، وفلسفاتها وتأريخها كاليهودية والنصرانية ، الأمر الذي أدى الى ابتعاد بعض المسلمين عن المفاهيم القرآنية ، مما أدى الى دخول الإسرائيليات - على سبيل المثال- الى الموروث العقائدي والتفسيري ، فقد دخلت الكثير من القصص والتفسيرات عن طريق اليهود والنصارى .

٣-قيام الفقيه أو المفسر بالاجتهاد لاستنباط الحكم الشرعي إذا لم يجد نصاً يدل عليه في الكتاب والسُنَة ، ولاجتهاد هنا يعني الرأي الشخصي للفقيه أو المفسر بالاعتماد على المنهج الصحيح في استنباط الحكم الشرعي.

وعند الرجوع للقرآن نجد في آياته دعوة للتفكر والنظر في القرآن للوصول الى الحقائق والفهم الصحيح ، كقوله تعالى : " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (محمد٢٤) ، وقوله تعالى : " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " (ص ٢٩) ، وعليه فلا بدّ من أن يكون المقصود بالتفسير بالرأي الذي نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) غير

التفسير الاجتهادي ، الذي نقصد به بذل الجهد واستخدام قوة العقل في فهم آيات القرآن ومقاصده مع موافقة القرآن والسُنة .

فأوامر التدبر التي وردت في القرآن الكريم تكون أوامر لا فائدة منها لو فرضنا بأنّ القرآن لا يمكن أن يُفهم مباشرة إلا بالاستعانة بالروايات والأحاديث الشريفة ، لذا يكون التدبر مقترناً بالفهم الصحيح للآيات القرآنية من خلال التفاعل الفكري مع النص القرآني.

ومن أبرز التفاسير التي سارت على وفق هذا المنهج :

١- تفسير " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨ هـ) ، يعتبر أضخم تفسير وصل إلينا من تراث المعتزلة ، وقد نال من الذيوع والانتشار قديمًا وحديثًا قدرًا كبيرًا ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى حسن عبارة مصنفه ، وتمكنه من تطبيق منهج عبد القاهر الجرجاني البلاغي في دراسة بلاغة القرآن الكريم ، وتكمن خطورته فيما تضمنه من أصول وعقائد المعتزلة في تفسيره لآيات القرآن ، فقد نحى الزمخشري في تفسيره منحى الاعتزال ، فشرحه في ظل الأصول الخمسة للمعتزلة (العدل - التوحيد - الوعد والوعيد - المنزلة بين منزلتين - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٢- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب هو كتاب تفسير للقرآن من تأليف شيخ الإسلام فخر الدين الرازي (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ). التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ما هما إلا وجهان لعملة واحدة ، وذلك لأنهما اسمان مشهوران بين العلماء والباحثين لتفسير واحد ألفه الإمام الفخر الرازي . وقد حاول بعض العلماء الجمع بين هذين الاسمين قائلين : ألف الرازي تفسيره الكبير المسمى مفاتيح الغيب . وهذا التفسير يعتبر أهم تفاسير المدرسة التفسيرية المنتمية إلى التفسير بالرأي المحمود ، بل وأفضلها على الإطلاق. إذ يعد هذا التفسير موسوعة علمية متخصصة في مجال الدين الإسلامي عامة ، وعلم التفسير على وجه الخصوص . بالإضافة إلى ذلك، أنه عمدة التفاسير العقلية للقرآن الذي يمثل ذروة المحاولة العقلية لفهم القرآن ، بل هو مستودع ضخم للتوجيهات العقلية والأقوال النظرية في التفسير . ويعد تفسيراً شاملاً لكونه اشتمل على الجمع بين التفسير بالعقل السليم والنقل الصحيح ، فضلاً عن شموله لأبحاث فياضة تضم أنواعاً شتى من مسائل العلوم المختلفة. كما يعد من أطول التفاسير القديمة والحديثة، وأكثرها تفصيلاً وعرضاً للآراء ، ومناقشة للمعتقدات والمذاهب المختلفة. ويستطرد في العلوم الكونية، ويتوسع بها ، كما يذكر المسائل الأصولية والنحوية والبلاغية، والاستنباطات العقلية. ويبين في تفسيره معاني القرآن الكريم، وإشاراته، وفيه أبحاث مطولة في شتى العلوم الإسلامية، كعلم الكلام، وأقوال الحكماء، ويذكر فيه مذاهب الفقهاء وأدلتهم في آيات الأحكام، وينتصر لمذهب أهل السنة في العقيدة، ويرد على المعتزلة، وأقوال الفرق الضالة، ويفند مذاهبهم، كما يرد على الفلاسفة.

٣- تفسير الألوسي المسمى بـ (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(كتاب يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ويشتمل على آراء السلف رواية ودراية، وأقوال الخلف بأمانة وعناية ، فجمع خلاصة التفاسير السابقة. وبين فيه المصنف أسباب النزول، والمناسبة بين السور، والمناسبات بين الآيات، وعرض لذكر القراءات ، واستشهد بأشعار العرب ، واعتنى بالآيات الكونية، والإعراب والنحو، وبيّن أقوال الفقهاء وأدلتهم في آيات

الأحكام ، ورجّح بينها من دون تعصب لمذهب فقهي معين ، وكان الآلوسي يعرض آراء المفسرين ويناقشها ، وتفسيره يقرب من تفسير المتصوفة أو ما يسمى بالتفسير الإشاري إذ يقوم بتأويل الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهري والخفي .